النسق الصرفي للسور المكية القصار المتماثلة الفواصل سورة الأعلى مثالا

أ.د. محمد جواد محمد سعيد الطريحي
عميد كلية العلوم الاسلامية / جامعة بغداد
رئيس لجنة عمداء كليات العلوم الاسلامية والاقسام المتناظرة في الجامعات العراقية

ملخص البحث

بعد الحمد الله والثناء عليه فإن هذه الدراسة قد وقفت على شاطئ سورة الأعلى المباركة وهي إحدى السور القرآنية التي حملت آياتها زاداً دسماً للباحثين على مستويات عدة منها الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي والدلالي .

وقد توخت هذه الدراسة إيجاد الرابط بين المستويات اللغوية التي لابدّ أن تبرز بشكل غير منفصل – وهذا مالم يشر إليه احد من الباحثين- أي أن البحث في تلازمها يؤدي إلى نتائج يُكمل بعضها بعضاً ،ولما كان لابدّ لكل بحث من مرتكز يرتكز عليه، فإن خطة بحثنا اشتملت على الأنساق اللغوية المتعددة ومنها النسق الصوتي والتركيبي والدلالي

والتي سيتم بحثها تباعاً ، وقد تقدمها النسق الصوتي الذي تم إيداعه للنشر في مجلة العميد المحكمة واليوم يأتي هذا البحث يحمل عنوان النسق الصرفي في السور المتماثلة الفواصل ونأمل ان ننشر الانساق الاخرى.

وقد قامت دراسة هذه الانساق على التحليل والموازنة والمقارنة والترجيح ضمن السورة نفسها والعروج الى آيات أُخرفي سورمباركة غيرها كان لها ارتباط بالموضوع يسهم في إبراز فكرته وينير جوانبه

وقد مثلت جهود العلماء القدامى والمحدثين رافداً عضدت به البحث وألبسته قيمة علمية ، فكانت مصادره ومراجعة كثيرة ، مما أعطى نتائج علمية باهرة وضحت الجانب النسقي الذي انمازت به السور المباركة لتكون هذه الدراسة باكورة لاعمال مماثلة قد تفتح الطريق للباحثين لولوج هذا الميدان .

الصرف لغةً:

ردُّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفهِ صرفاً فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه(١).

واللفظ قرآني ورد جذره بتصاريف مختلفة في القرآن الكريم في ثلاثين آية وفي واحد وثلاثين موضعاً، فمنها ما جاء بلفظ الماضي، كقوله تعالى: ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧] وقوله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ [illegible] وبلفظ الماضي المرتبط بكاف الخطاب وضمير المتكلم، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ومنها ما جاء بلفظ المضارع، كقوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣] وقوله: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] وقوله: ﴿ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٤٣].

وجاء بلفظ الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ [illegible].

وجاء بصيغة البناء للمجهول في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [illegible]. وقوله: ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٦] وقوله: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [illegible] وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ [illegible].

ويأتي مضعَّف العين بلفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ الكهف: ٥٤(٢).

وبلفظ المضارع مضعَّف العين في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٨ (٣).

وجاء بصيغة فعل المطاوعة "انفعل" في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ التوبة: ١٢٧.

والواضح أنّ أكثر المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ كان بالصيغة الفعلية، ولم يرد بصيغته الاسمية إلاّ في خمسة مواضع، كقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ الفرقان: ١٩، قال ابن فارس: "الصرف في القرآن: التوبة، لأنه يُرجع به عن رتبة المذنبين"(٤).

وأيضاً جاء بلفظ المصدرية، كقوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١٦٤، وقوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الجاثية: ٥.

وجاء كذلك مشتقاً في موضعين في قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ هود: ٨، وقوله ﴿ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ الكهف: ٥٣.

والواضح أنَّ التسمية لهذا العلم جاءت من الاستعمال القرآني بلفظيه الصرف من "صَرَفَ" أو التصريف من الفعل المضعَّف "صرَّفَ" لتدرك عبر التتبع لمعاني النصوص التي ورد فيها جذر هذين الكلمتين ومشتقاته، فإنَّ الباحثين وجدوا أنهما في لهما تعنيان إفادة الدلالة على عدم الثبات والتغير والتبدل والتحول، والحق أنَّ اللغة لا توحّد بين الجذر الثلاثي لأي فعل عن الجذر الرباعي، وهو هنا الفعل المضعَّف، ولا يخفى أنَّ ذلك يختلف من حيث الدلالة في المعنى عن الجذر

الثلاثي للفعل، وإنْ كان القدماء قد استعملوها للدلالة على شيء واحد، وفي هذا المجال فإنّ الدكتور عبد الصبور شاهين يرى أنَّ المقصود بالمعنى العلمي هو مدلول الصرف والمقصود بالمعنى العملي هو مدلول التصريف، ومن ثم يتخصص كل من المصطلحين لدلالة واحدة(٥).

الصرف اصطلاحاً:

الصرف في الاصطلاح يعني التغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، والمراد ببنية الكلمة الهيئة أو الصورة المحلوظة فيها من حيث الحركة والسكون، وعدد الحروف وترتيبها، ومن هنا جاء تعريف ابن الحاجب له بقوله: "التصريف علمٌ بأصولٍ تُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"(٦)، ويشير هذا التعريف إلى فارق دقيق في النظرة إلى الصرف والتصريف بين القدماء والمتأخرين، القدماء – وأولهم سيبويه – كانوا يطلقون لفظ التصريف على مايؤخذ من كلمة معينة بناءً، على سبيل التمرين والتدريب، لم تنبه العرب منها على زنة ما بنته العرب من غيرها، ثم يعمل في البناء الجديد قياس كلامهم، ولهذا قال سيبويه في أحد أبوابه التي عالجت هذا العلم مشيراً إلى أنَّ القياس هو الحاكم فعنون لهذا الباب بقوله: "هذا باب ما جاء على أنَّ فَعَلتُ منه مثل: بعتُ وإنْ كان لم يستعمل في الكلام"(٧).

وفي عنوان طويل ذكره في مصطلح التصريف: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجيء في كلامهم إلاّ نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل"(٨).

وفي هذا اشارات واضحة إلى القياس على ما لم تتكلم به العرب، وقد قصد سيبويه في عنوانه الطويل هذا إلى أن يكون عنواناً شاملاً لموضوعات التصريف التي بحثها في القسم الثاني من كتابه، وإنْ كان قد أشار في بدايات كتابه أنه سيبحثها في باب أسماه (باب التصريف) وكان الباب الوحيد الذي يحمل عنواناً

يشير بوضوح إلى مصطلح التصريف فقال: "وسنبين ذلك في باب التصريف إنْ شاء الله"[٩].

وقد جاء تفسير ما قاله سيبويه على لسان ابن جني بأنَّ "التصريف إنما هو أنْ تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرِّفها على وجوه شتى، مثال ذلك أنْ تأتي إلى "ضرب" فتبني منه مثل "جعفر" فتقول: "ضربب".. ومثل "دِرْهَمٌ" ومثل "عَلِمَ" "ضَرِبَتٌ" ومثل "ظَرُفَ" ومثل "ضَرُبَ" أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة[١٠].

وقد وضَّح الرضي الفارق بين القدماء والمتأخرين بقوله: "والتصريف على ما حكى سيبويه عنهم، هو أنْ تبني من الكلمة ما لم تنبه العرب على وزن ما بنته ثم تعمل في البناء الذي بنته ما يقتضيه قياس كلٍ منهم... والمتأخرين على أنَّ التصريف علمٌ بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك"[١١].

فعلى هذا يتضح من قول الرضي أن الصرف والتصريف له جانبان مهمان يتحاورانه: الأول هو الجانب الرياضي ويقصد منه التدريب والتعليم، وذلك بأن يصوغ المتكلم أو يبني بناءً لم تقله العرب وإنّما يقوله موافقاً لما يقتضيه قياس كلامهم، أما الثاني فهو العلم بأبنية الكلمة المقيسة، وبمعنى آخر البحث فيما جاء على القياس وبناء ألفاظ على غرار ذلك القياس، وهما الجانبان اللذان يمكن أنْ نصطلح عليهما بالجانب العلمي والجانب العملي، ولهذا فإنَّ حدّ المحدثين جاء على أنَّ علم الصرف هو: "البحث في نشأة الكلمات والتغييرات التي تطرأ على مظهرها الخارجي في الجملة"[١٢]، وهو حد نراه قاصراً لأنه يتناول جانباً واحداً من الصرف، وكذلك ما حده بعض المحدثين من أنه: "علمٌ يعنى بالأصول والزوائد، وبيان المشتق والجامد، وتحديد أشكال الصيغ من إعلال أو إبدال أو قلب أو حذف"[١٣].

والحق أنَّ حدَّ المتأخرين للتصريف يستثنى منه ما يعرض من تحويل بنية الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني لا تحصل إلاّ بذلك التحويل، وذلك كأن تشتق من الفعل أو المصدر، على اختلاف نظرة النحاة الكوفيين والبصريين إلى أصل الاشتقاق، اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسما الزمان والمكان واسم التفضيل واسم الآلة – سيبحث لاحقاً–، ومن ذلك أيضاً التحويل في بنية الكلمة إلى التثنية والجمع والتصغير والنسب، ولأجل ذلك فقد وجد ابن جني أن هناك "نسباً قريباً واتصالاً شديداً.... فمن هنا تقاربا واشتبكا، إلا أنَّ التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق ... فالتصريف إنّما هو لمعرفة "أنفُس الكلم الثابتة، والنحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة"(١٤).

وهذا الكلام يفرز استنتاجاً مهماً مفاده: هل إنَّ الصرف قسم من النحو؟ وذلك ما جرت عليه عادة المؤلفين القدامى إذ جعلوا الصرف ضمن مصنفاتهم النحوية منذ أن كتب سيبويه كتابه فجعل مباحثه الصرفية في القسم الثاني من كتابه. وقد علل ابن جني ذلك بقوله بأنَّ "هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء ليكون الارتياض في النحو مُوَطِّئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه"(١٥)، وقال : "لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره"(١٦)، وعلى ذلك جرت الكتب فيما بعد كتاب سيبويه، فكان المبرِّد في المقتضب قد تكلم في الموضوعات الصوتية ذاتها التي تكلم بها سيبويه باعتبار أنها قسماً مكنه خالقه في أن جعلها في بداية كتابه، ولكنه اتبع المفهوم ذاته كما هو في الكتاب فقال: "وهذه حدود التصريف ومعرفة أقسامه وما يقع فيه من البدل والزوائد والحذف ولا بدَّ أنْ يصدَّر بذكر شيء من الأبنية"(١٧).

وعلى هذا أيضاً جاء موجز ابن السراج وجمل الزجاجي(١٨) ولهذا الأمر أيضاً قال الرضي: "واعلم أنَّ التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة"(١٩).

ويرى د.تمام حسان أنّ النحاة العرب قد قدّموا لدراسة النحو باباً صرفياً هو "الكلام وما يتألف منه" وإنّ "صنيعهم هذا يشير إلى أنّ النحو لا يفتأ يستخدم معطيات الصوتيات والصرف المختلفة في عرض الأغلب الأعم من تحليلاته وفي الرمز لعلاقاته وأبوابه، حتى إننا لنجد القرائن اللفظية الدالة على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها عناصر تحليلية مستخرجة من الصوتيات والصرف"(٢٠).

وبخلاف النظرة التي رأت أن الصرف يكون جزءاً وقسماً من النحو فإنّ نظرة جديدة تتقاطع معها ترى أنّ التصريف قسيم للنحو لا قسماً منه فلكل منهما حده الذي يُعرف به ويميزه عن الآخر، ولهذا نحا مريدو هذا الاتجاه إلى فصل الصرف عن النحو في مصنفات مستقلة من حيث المنهج، وخير من يمثل هذا الاتجاه هو أبو عثمان المازني، وإن كان من سبقٍ يسجل له فهو السبق في الفصل، وإن كان قد جرى في منهجه منهج الدراسة الصرفية على ما جرى عليه سيبويه بشيء من التلخيص والإضافة لبعض الأمثلة والشواهد، ودمج بعض الأبواب أو إلغائها، وعلى الرغم من محاولة الفصل هذه فقد عاد شارح التصريف – ونعني به ابن جني – إلى مرحلة الجمع ثانية بين علم الصرف والعلوم الأخرى فقال في مقدمة شرحه: "هذا كتاب أشرح فيه كتاب أبي عثمان... فإذا أتيتُ على آخره، أفردتُ فيه باباً لتفسير ما فيه من اللغة العربية، فإذا فرغتُ من ذلك الباب أفردتُ فصلاً من المسائل المشكلة العويصة"(٢١)، وهذا يبين لنا تشابك علاقة علم الصرف بالعلوم الأخرى التي سنعرض لها في قابل البحث بعد أن نشير للاتجاه الثالث في الدراسة الصرفية ونعني بذلك تناول التآليف الصرفية جانباً واحداً من الموضوعات الصرفية، فقد وصلتنا كتب خاصة بالمقصور والممدود أو الإبدال أو القلب، والتأنيث والتذكير، أو الأبنية أو الهمز وما إلى ذلك من موضوعات صرفية مفردة هيّأت للدارسين مادة واسعة في موضوع محدد منظم ومبوب، فعلى هذا توافر لدينا اتجاهات ثلاثة في منهج الدراسة الصرفية:

الأول: دراسة الصرف ضمن الدراسة النحوية.

الثاني: الدراسة المستقلة بمباحث علم الصرف.

الثالث: دراسة موضوعات منفردة منه.

الصوت:

دلّنا المعجم العربي على أن الصوت وجمعه أصوات بمعنى المناداة من "صات يصُوتُ ويَصاتُ صوتاً، وأصاتَ وصوَّتَ به، كله نادى، ويقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصويتاً فهو مُصَوِّتٌ... والصوت صوت الإنسان وغيره... وكلُّ ضرب من الغناءِ صوتٌ، والجمع الأصوات. قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ الإسراء: ٦٤ [٢٢]. وقيل بأصوات الغناء والمزامير[٢٣].

"**والصوت** : الجَرْسُ، معروف مذكر، فأما قول رويشد بن كثير الطائي:

يا أيها الراكبُ المزجي مطيَّتَهُ سائل بني أسدٍ : ما هذه الصوتُ

فإنما أنَّثه، لأنه أراد به الضوضاء والجلبة"[٢٤].

وتأسيساً على ما قرره المعجم اللغوي من أنَّ الصوت يشمل الإنسان وغيره وكذلك أصوات الغناء والمزامير، فقد وضع الباحثون المحدثون اصطلاحهم للصوت بأنه "الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى وإن لم يكن مصدره جهازاً صوتياً حياً، فما نسمعه من آلالات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات وكذلك الحس الإنساني صوت"[٢٥].

فهذا كما ترى تعريف شامل يضم الأصوات كلها وقد قصرها ابن جني على الإنسان لأنّه في معرض توصيف للصوت المنحصر باللغة أي أن الصوت اللغوي عنده: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢٦].

وواضح أنه ضمن الحد الأول كان الاصطلاح متصفاً بالشمول، وضمن الحصر الثاني محصوراً باللغة، وقد تابع الباحثون المحدثون ابن جني في تعريفهم للصوت اللغوي بأنه: "أصغر وحدة نطقية تصدر عن جهاز النطق الإنساني، يمكن أنْ تنسحب سلسلة الكلام إليها"[٢٧].

وقد درس القدماء من العلماء العرب الصوت عبر كونه صوتاً مفرداً بدراسات مستقلة شارحين بدراساتهم تلك المخارج والصفات، وقد تمكنوا من وصفها بشكل جيد، على الرغم من عدم توافر الإمكانيات والمختبرات الصوتية التي أضحت متوافرة للباحثين المحدثين الذين استفادوا أيما استفادة من خبرات ابن جني، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر فقد مر تعريفه للغة وأصواتها فضلاً عن إنه أفرد لكل صوت باباً مختصاً به.

ولأن تراكم الخبرات يضفي على العلوم تجدداً مستمراً، فالخلف يضيف للسلف، ولأنه "لا حديث بلا قديم، ولا فضل لقديم يَقنَع بنفسه ولا يتطور أو يتجدد مع الزمن"[٢٨]. وبهذا المفهوم فإنه لا قطيعة وانقطاع بين الدرس الصوتي القديم والدرس الصوتي الحديث الذي ظهر بتسمية "الألسنية العامة" وتطور على يد فردنيان دي سوسير عام ١٩١٦م "تطوراً عظيماً"، وذلك من حيث هو علم يرمي أصحابه إلى وصف كيفية قيام اللغات جميعاً بوظيفتها الإبلاغية وصفاً موضوعياً بعيداً عن التحيز والتعقيد"[٢٩] وقد تبعت دراسة دي سوسير دراسات صوتية حديثة لجان كانتينو وهنري فليش وإبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر وكمال بشر وحسام النعيمي وغيرهم ممن سنفيد في دراستنا منهم على سبيل الدراسة المقارنة بين القديم من الدراسة الصرفية و والصوتية وبين دراسات المحدثين لها، وهذا الأمر لا يعني أن القدماء كانوا متفقين تماماً في كل المسائل والقضايا المعروضة، أو إن المحدثين كذلك، فقد نجد خلافاً بين علمين من الأعلام القدماء، وقد نجد اتفاقاً بين المحدثين لرأي قديم، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر أن الخليل كان يرى أن الضاد من الأصوات الشجرية[٣٠] ويرى سيبويه مخرجها من "بين حافة اللسان وما يليها من الأضراس"[٣١] ويرى المحدثون أن نطقها "أسناني لثوي"[٣٢].

فضلاً عمّا ذكرناه من دراسة العلماء للصوت باعتبار كونه صوتاً مفرداً، فإنهم درسوه باعتباره جزءاً من سلسلة الكلام كما مرّ في تعريف المحدثين للصوت "يؤثر ويتأثر بالأصوات المجاورة له في عملية تفاعل متبادل"(٣٣).

وكان القدماء قد أطلقوا على عملية التفاعل المتبادل مصطلحات معروفة جيداً في علم الصرف كالإدغام والإبدال والإعلال والقلب وغيرها من الظواهر الصرفية التي رأى الأقدمون أنّها أدخل في بنية الكلمة، فقد ذكر سيبويه ذلك بقوله: "إنّما وضعتُ لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"(٣٤).

وقد درج الباحثون المحدثون على نقل تلك المباحث من الميدان الصرفي إلى الميدان الصوتي فبحثوها ضمن الدراسات الصوتية(٣٥). فلقد قال د.عبد الصبور شاهين "وعجيب أن نجد بعد ذلك من يتصدى لتدريس الصرف العربي دون اعتماد على أفكار علم الأصوات اللغوية......"(٣٦).

وسيكشف البحث في قابله عن العلاقة الرابطة بين الصرف والكتابة وهي التي اعتمدها القدماء في دراساتهم الصرفية، في حين فصل المحدثون بين الرسم الإملائي والصرف وكان هذا الفصل مبنياً على الصوت لا الكتابة. وفي هذا يرى الطيب البكوش أنّ العرب قد توصلوا إلى نظرية صرفية لا تخلو من الإحكام، فسّروا بها أهم التغييرات الصوتية الطارئة على الصيغ، ولكنه ذهب إلى أن هذه النظرية لا تخلو كذلك من العيوب وذلك لأنّ اللغويين العرب ذهبوا إلى "تعليل التغييرات الصوتية انطلاقاً من الرسم المرئي، لا من سلسلة الأصوات المسموعة، وهو عيب تشترك فيه النظريات اللغوية القديمة جميعاً فيما يبدو، إذ نجد الظاهرة نفسها (كذا) عند اليونانيين كذلك(٣٧)، فالاعتماد "على الرسم دون النطق يقود حتماً إلى التعسف والخطأ في الحكم إلى جانب ما فيه من تناقض ضمني لأن الرموز الخطية لا يمكن أن تستوعب كل ما يوجد من غنى وتنوع صوتي في اللغات البشرية، وما زاد هذا العيب استفحالاً طبيعة الخط العربي الذي لا يهتم كثيراً

بالحركات إذ تعتبر فروعاً للحروف...."[٣٨]، وتشير عبارته الأخيرة إلى أن القدماء يعدون "الحركات أبعاض حروف المد"[٣٩]، ومن نافله القول أنّ القدماء كانوا قد بحثوا في دلالة الأصوات، مفردة ومركبة، وقد توصلوا إلى أن للصوت تأثيراً دلالياً في معنى اللفظ العربي، وقد أيدهم بعض الباحثين المحدثين في ذلك، في حين رأى إبراهيم أنيس أن ذلك البحث يعد فاشلاً فقال: "إن بعض اللغويين من المحدثين يحاول جاهداً أن يبين لنا حدود الكلمات على أساس صوتي بحت... ولكن هذه المحاولات قد باءت في آخر الأمر بالفشل"[٤٠].

العلاقة بين الصرف والصوت :

يشمل الصرف فيما يشمل الصوت وما يصاحب اللفظ من تغيير لا يرتبط بتغيير المعنى، مثل الإعلال والهمز....، فالصرف بذلك يشمل جانباً مهماً من علم الأصوات إذ "إنّ تفاعل الأصوات يدخل تغييراً عميقاً على الصيغة من حيث عدد المقاطع ومن ثم تغير الكمية الصوتية"[٤١]. وإذا كان هذا يصح في الإعلال والهمز فإن بعض الصيغ لا تتغير بنيتها من حيث هيكليتها، وإنما التغير يحدث في جرس أصواتها وهو تغيير بنائي لفظي يبين التغيرات الصوتية الطارئة على الصيغ الصرفية، فإن ازدهر يحمل جرساً صوتياً لا يحمله لفظ ازتهر وكذلك إدّارك هو ليس تدارك، وبهذا يكون الإعلال والإبدال والإدغام والتقاء الساكنين يحمل ضمناً تغييرات يمكن أنْ نسميها صرفية – صوتية، وبهذا المعنى فإنّ تداخلاً يصعب فك ارتباطه بين علمين هما الصرف والصوت.

وفي هذا المجال لا بدّ لنا بعد أنْ ثبتنا التلازم الوثيق بين الصرف والصوت، لا بدّ لنا من توضيح وتبيين العلاقة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، فعلم الأصوات ميدانه نطق الكلمة ولا يعتمد شكلها الكتابي إلاّ عبر إشارات تكون في أحيانٍ كثيرة قاصرة عن إفهام القارئ الكيفية الصحيحة التي يجب على القارئ أن يحول ذلك اللفظ المكتوب إلى لفظ منطوق بالشكل الصحيح الذي أراده الواضع لهذا اللفظ، ولهذا المعنى فقد أصرّت عصور الاستشهاد الأولى على السماع، وأيضاً فإنّ علماء التجويد يعتمدون على السماع والمشافهة أساساً في الإجازة

لقارئ معين وهذه تعتمد إبعاد الاعتماد على الرسم الكتابي وكذلك القراءة المنفردة فلا بدَّ من القراءة على قارئ قرأ على غيره وتمكن من القــراءة ، وهكــذا فــإن سلسلة الإقراء تطول وتمتد وصولاً إلى العهود الأولى في الإقراء.

ويحضرنا هنا قول ابن خلدون: "إن الخط والكتابــة مــن عــداد الصــنائع الإنسانية، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على مــا في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية"(٤٢).

<u>مستويات النشاط والتحليل اللغوي:</u>

للغة – أية لغة كانت – جانبان :

الأول: جانب شخصي تكون اللغة بالنسبة لهذا الشخص مجموعة من الرموز التي تحمل دلالات معينة، يعبر الشخص فيها عما يجول في فكره من أفكــار عديــدة ومتنوعة لا بدّ من التعبير عنها بواسطة اللغة، ومعلــوم أن اللغــة كمــا حــددها أصحاب فقه اللغة تبدأ بالأشياء الحسية المنظورة أمامه، ومن ثم تتحول تلك المواد اللغوية على الدلالات اللغوية الذهنية وهذا ما تفتقر إليه اللغة العربية لأنها تفتقــر إلى معجم التطور الدلالي، وكان لا بدّ للغة من مرحلة الانتقال من المواد اللغويــة الحسية إلى مرحلة التعبير باللغة والألفاظ إلى الذهن والعقل، ولهذا فإن كلمات من نوع المجد الذي كان في أصل وضعه اللغوي يدل على الهضبة المرتفعــة، ثــم صار بعد ذلك يعني العلو والارتفاع، وذلك لأن الألفاظ في اللغة قليلة والمعــاني كثيرة، فاللغة وسيلة من وسائل التعايش بين الفرد والمجتمع المحيط به، وهذا هو محور الوظيفة الرئيسة للغة التي يعبر بها الفرد عن مكنونات ذاته ويطلقها إلــى من يتعامل معه بجسور عقلية ينتقل بواسطتها الفكر والمعلومــات وبهــا يتبــادل الخبرات مع غيره، وبهذا يكون الهدف اللغوي هدفاً اجتماعياً وسياسياً واقتصــادياً وغير ذلك من مستويات يتعامل بها لغوياً للتعبير عما يجــيش فــي نفســه مــن المشاعر أو الخيال وهي وسيلة التنفيس عن المشاعر الخاصة، ومن هنــا يخلــق الشاعر والناثر والأديب، وبوساطة اللغة وطريقة استعمالها يتميز أديب عن آخــر

وشاعر عن آخر في الجودة والإتقان والسبك من جهته والتأثير فيمن يحيط بـــه أو من يستمع إلى ذلك البث اللغوي الذي يحمل كثيراً من القـــيم الجماليـــة والخيـــال الشعري ويشمل هذا الفنون الأدبية كالقصة بأنواعها، والمسرحية والنثر بأنواعـــه وما إلى ذلك.

الثاني: وهو الجانب الاجتماعي الذي يستمد الفرد لغته من مجتمعه الذي يولد فيه ويقلد الوسط اللغوي في هذا المجتمع، والأداء اللغوي يتكون على هذا الأساس من العاملين معاً، فالقدرة الفردية والمجتمعية تتلاحمان معاً في تكوين القدرة اللغويـــة للفرد، ولعل بعض المواهب الفردية تستطيع بعد هذا الـــتمكن مـــن مـــنح اللغـــة خصائص وسمات فيكون تأثيره بعد ذلك خصيصة لغوية فهو يأخذ ويعطي، ومن هنا كانت البدايات الأولى في عصور الاستشهاد اللغوي حـــين خـــرج اللغويـــون لاستقراء اللغة من أفواه الأعراب فثبتوا قواعدهم ونحوهم ولغـــتهم علـــى ضـــوء الأشعار التي اعتقدوا صحتها بأنها داخلة ضمن الضابطين المكـــاني والزمـــاني، فالمكاني بتحديد قبائل معينة لم تختلط ألسنتهم بالأعاجم، وهي قبائل أســـد وتمـــيم وقيس وبعض الطائيين وبعض الهذليين، أما الزمن فهو نهاية العصـــر الأمـــوي، ومعلوم أن هذه الضوابط بصرية توسع فيها فيما بعد نحاة الكوفة نتيجـــة إعـــادة الأستقراء اللغوي بعد إدخال قبائل أخرى وتحديد الزمن، ثم بلغ التوسع مداه عنـــد نحاة بغداد للدرجة التي عدّ بها ابن جني كل اللغات حجة، ومن ثم إلى جعل قـــول اللغوي والنحوي حجة، ودخل ضمن الاستشهاد اللغوي الحديث النبوي المســـتبعد سابقاً من الاستشهاد وكذلك اشعار المولدين وحتى القراءات القرآنية غير السبعية، بل إن ابن جني جعل بعض القراءات الشاذة أفضل من القراءات التي جمعها ابن مجاهد في كتاب السبعة، ويذكر د.تمام حسان أنه "للوصـــول إلـــى المعنـــى فـــي صورته الشاملة لا بدّ أن تستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة.... وهي الصوتيات والصرف والنحـــو (أي الفـــروع الخاصـــة بتحليل المعنى الوظيفي) ثم المعجم (وهو الخاص بالمعنى المعجمـــي) والحقـــائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنســـبة إلـــى

المعنى الدلالي. وذلك بأن هذه الحقائق إمّا أن تكون وظائف (كما في الصوتيات والصرف والنحو) او علاقات عرفية اعتباطية (كما في المعجم) فالوظائف تتضح – كما سبق – نتيجة للتحليل على المستويات الثلاثة الأولى أما العلاقات العرفية الاعتباطية فالمقصود بها العلاقات بين المفردات وبين معانيها"(٤٣).

ومن البديهي أن لا يكون كل هذا المستقرأ من اللغة على مستوىً واحدٍ من الأداء اللغوي إذ إنّ هذه الظواهر اللغوية التي مرّت عبر مراحل زمنية متعددة وأماكن قبلية متفرقة لا بّد أنْ تعدد مستوياتها وما يحكم كل مستوى منها من نظم وقواعد وهذه المستويات هي:

١. المستوى الصوتي في التحليل .
٢. المستوى الصرفي في التحليل.
٣. المستوى التركيبي في التحليل.
٤. المستوى المعجمي في التحليل.
٥. المستوى الدلالي في التحليل.

على أننا هنا نسجل ملاحظة هامة لا يمكن إغفالها والتغاضي عنها لئلا يتبادر إلى الذهن أن أي مستوى من هذه المستويات يكون منفصلاً عن غيره فلا يمكن أن ينفصل أي منهما عن الآخر بل على العكس من ذلك فإنّ أحدها يكون مكملاً للآخر ومتمماً له، وهما يتلازمان تلازماً وثيقاً، ولا بدّ من سلامة المستويات بأجمعها، فالخطأ في نطق لفظ معين يصرف ذهن المتلقي إلى معنى آخر لمفردة أخرى، والخطأ النحوي التركيبي يولد معنى جديداً لا يريده الذي صاغ العبارة إرادة المعنى الذي يبتغي إيصاله، فنقل الكسرة إلى فتحة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ [المرسلات: ١٥] وهم أقوام الأنبياء، والويل منصبٌ عليهم يصبح بالفتح منصباً على الأنبياء وهو

أمرٌ يؤدي إلى عكس المراد، وكذا في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ التوبة: ٣ فإذا جعلت الرسول معطوفاً على المشركين كان هذا مؤدياً إلى الكفر، ولهذا فقد برئ ذلك الأعرابي الذي سمع الآية بهذا الشكل، وينطبق الحال على الصوت فالخطأ الصوتي يولد سلسلة من الأخطاء على غيره من الأصوات وهكذا اضطراب مستوى الصيغ وأوزان الألفاظ والمفردات العربية، ولهذا الأمر فقد أشرنا فيما سبق إلى تلازم المستويات، والفصل الذي جرى فيما بعد إنّما هو لهدف تعليمي بحت، فالتدريب والمران يجعلان الدارس متقناً لعلم الصرف حين تداخله مع العلوم الأخرى، وهذا ما جرت عليه محاولات الفصل منذ أن بدأ المازني بكتابة مؤلفه، ثم تطورت الدراسات الصرفية فيما بعد المازني في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي وابن جني، وقد قاما بتفعيل مسألة استقلال علم الصرف عن علم النحو، وقد قاما كذلك بالنظر في المسائل الدقيقة للصرف والتحليل والترسيخ للأصول الصرفية من قياس وسماع وتعليل مما تنضوي تحته الظواهر الصرفية، ومن بعدها ظلت الدراسات الصرفية تدور في الدائرة ذاتها حتى القرنين السادس والسابع الهجريين حيث تكامل صرح التصريف بظهور ابن الحاجب في الشافية التي كثرت شروحها، والأشهر منها هو شرح المحقق الرضي الاستراباذي لها ومن بعد ابن الحاجب كان ابن مالك فبلغ على أيديهم "ذروة التأليف والاستيعاب لأبواب التصريف ووضع الشروط والقواعد والتفسيرات لموضوعاته، حتى لم يبق لمن جاء بعدهم غير التلخيص والشروح والحواشي على مؤلفاتهم"(٤٤).

والواضح أن الذي أنتهى إليه القدماء من الصرفيين أنهم استطاعوا أن يفصلوا علم الصرف عن غيره من العلوم الأخرى، وقد استطاعوا أن يؤلفوا فيه مؤلفات مستقلة بذاتها، أي أن كتباً ومصنفات خاصة بالصرف والتصريف

قد ظهرت منذ أن ألّفَ فيها المازني كتاباً يبحث الصرف منفصلاً عن النحو، ومرَّ ذلك عبر سلسلة من النحاة لكي يستقر مفهوم الفصل عند النحاة، حتى قال ابن عصفور في ختام تأليفه للشرح الكبير للجمل "كمل والحمد لله وحده" وأما شرح ما بقي من الجمل وهو التصريف فعليه موضوعٌ على حدةٍ"(٤٥). وهذا يعني أنه استطاع أن يفصل ما دمجه الزجاجي وهو شارح له، لأن الصرف ضمن هذا المفهوم هو بعينه، المفهوم الحديث لعلم الصرف الذي يرى أن وظيفة علم الصرف هو دراسة مستوى الكلمة في ذاتها دون التطرق إلى الاهتمامات النحوية، وميدانها الكلمة أيضاً، مع فارق دقيق هو موقع هذه الكلمة في التركيب، وبمعنى آخر علاقة الكلمة مع غيرها من الكلمات، وبمعنى أدق فإن الصرف يعني بالجزئية وهي الكلمة وبنيتها منفردة عن غيرها مستقلة بذاتها، والنحو يعني بالكلية وهي الكلمة في داخل التركيب، وهذا هو جوهر تعريف ابن الحاجب الذي يقول فيه: "التصريف علم بأصول تُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"(٤٦)، وأبنية الكلم هو وزنها وصيغتها وهيئتها التي تشترك بها مع غيرها من الكلمات بعدد الحروف والترتيب والحركات، باستثناء حركات الإعراب في آخر الكلمة، وهذا هو مفاد القيد الذي وضعه ابن الحاجب في نهاية تعريفه للتصريف، أي أن حركات الإعراب هي حركات طارئة على آخر الكلمة حسب موقعها في التركيب، فلا يُعتد بالحركة الظاهرة أو السكون، ولهذا فهي لا تدرس ضمن أبنية الكلم التي تعنى بها الدراسات الصرفية لكونها طارئة، وهذا ما عناه أبو حيان في تقسيمه التصريف على قسمين(٤٧):

أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني.

الآخر: تغييرها عن أصلها لا لمعنى طارئ عليها.

وينحصر القسم الأول في نحو: ضرب وتضرب وتضارب واضطرب، فلكل صيغة معنى يخالف معنى الصيغة الأخرى، وكذا في التصغير من نحو

ضويرب مصغر ضارب وضوارب في جمع تكسير ضاربة، والقسم الثاني ينحصر في النقص والقلب والإبدال والنقل.

فالنقص بحذف فاء الكلمة مثل : عِدة وزِنة.

والقلب من نحو قال وباع.

والإبدال في نحو اتعد وأصله اوتعد .

والنقل في نحو "شاكٍ" ينقل عين الكلمة على محل اللام، ونقل حركة العين إلى الفاء في نحو قُلتُ وبعتُ، وفي ذلك يقول ابن جني[٤٨] "أصل قُلْتُ وبعْتُ: قَوَلْتُ وبَيَعْتُ، فنقلت "قَوَلْتُ إلى قَوُلْتُ" لأن الضمة من الواو، ونقلت بَيَعْتُ إلى بَيِعْتُ، لأن الكسرة من الياء، ثم قُلبت العين لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ألفاً في التقدير، وبعدها لام الفعل ساكنةٌ لاتصالها بالضمير، أعني التاء، فسقطت العين، فنقلت حركتها المجتَلَبَةُ لها إلى الفاء فصارت "قُلْتُ" ، و "بِعْتُ".

والحق إننا نرى ما رآه د.عبد الصبور شاهين بأن من الضروري "أن نتناول علم الصرف بالمفهوم الحديث والمنهج الحديث الذي يربط بين فروع علم اللغة، فليس من الممكن دراسة بنية الكلمة دون دراسة أصواتها، ومقاطعها، وعلاقة الصوامت (السواكن) بالحركات، لأن كل تغيير تتعرض له هذه البنية ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية"[٤٩].

مكونات النظام الصرفي :

يتكون النظام الصرفي من دعائم ثلاثة :

أولاً: المعاني الصرفية وتشمل :

١. التقسيم : وهي تقسيم الكلام إلى عناصره الاسمية والفعلية والحرفية .

٢. التصريف : ويشمل الافراد والتثنية والجمع، والتكلم والخطاب والغيبة، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير .

٣. الصياغة الصرفية ويشمل الطلب والمطاوعة والألوان والحركة .

٤. العلاقة النحوية كالتعدية واللزوم والتوكيد...

ثانياً: المباني Morphemes

وتتمثل في الصيغ الصرفية في اللواصق والزوائد والأدوات، فتدل هذه المباني على تلك المعاني أحياناً بوجودها إيجاباً وأحياناً بعدمها سلباً، ويسميه النحاة "الدلالة العدمية" ليدلون بها على الحذف والاستتار والتقدير والمحل الإعرابي.

ثالثاً: المقابلات الخلافية :

وتضم طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية والمقابلات والقيم الخلافية بين المعنى والمعنى، وبين المبنى والمبنى، نحو العلاقة الإيجابية بين (ضَـرْب) و (شَهْم) من حيث تشابهها في الصيغة فهي (فَعْل) فيهما .

وكالمقابلة التي تتمثل في القيمة الخلافية بين أحدها والآخر من جهة المعنى فأولهما مصدر وثانيهما صفة مشبهة.

وتفرق اللغة بين الكلمة وصاحبتها بمثل هذه المقابلات كاعتبار التجرد في مقابل الزيادة والصيغة في مقابل الصيغة الأخرى، والتكلم في مقابل الخطاب والغيبة، والاسمية في مقابل الفعلية، والتذكير في مقابل التأنيث، وكالمذكر في مقابل المؤنث، والمتكلم في مقابل المخاطب والغائب، والاسم في مقابل الفعل، فالمقابلة تكون بين المعنى والمعنى كالتذكير والتأنيث، مثلاً تكون بين المبنى والمبنى كالمذكر والمؤنث.

وهذه المقابلات هي عصب النظام الصرفي فلا يتصور نظام بدونها. ولأجل كل ما تقدم من إيضاح وأيضاً لأن القرآن الكريم جاء على سمت كلام العرب وبلغتهم تحداهم فإنّ النسق الصرفي يعد خصيصة من خصائص السور القرآنية، والذي انمازت به موضوع دراستنا سورة الأعلى المباركة، ما أدى إلى تماسك بنائها واتساق معانيها التي تضمنتها من دون تنافر أو تفكك، ومن تتبعنا للظواهر الصرفية في السورة نجدها قد كونت وحدة نسقها والتي حققت الترابط بين أجزائها المكونة لها كوحدة بنائية.

فالنسق هو السمت المطّرد في سمو التعبير للخطاب القرآني إذ يجعله متميزًا عن غيره من النصوص في أنّ كلماته وحروفه نزلت منازلها، فلو نُزِعت

كلمة منه أو أُزيلت عن وجهها ثمّ أُدير لسان العرب كلّه على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها ووفائها لمعناها لم يتهيّ ذلك، ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة، فقد جاءت الجمل بما يلائمها من ألفاظ اللغة ، فلا تند لفظة ولا تتخلف كلمة(٥٠).

ومن مظاهر النسق المتوافرة في السورة تنوع الصيغ الصرفية ومنها صيغة فعل الأمر في قوله تعالى:((**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**))(٥١)، فصيغة الأمر تعني هيئته ،إذ ورد في لسان العرب : ((**يُقَالُ: صورةُ الفعلِ كذَا وكَذَا أَي هيئَتُهُ، وصورةُ الأَمرِ كَذَا وكَذَا أَي صِفَتُه**))(٥٢)، فالفعل (سبّح) ثلاثي مزيد بتضعيف العين وله معانٍ متعددة ذكرها الصرفيون في كتبهم (٥٣)، والمعنى الذي أفاده في الآية هو تكثير الفعل(٥٤) والمبالغة فيه ، وهذه من أشهر معاني (فعّل) التي تدلّ على كثرة القيام بالفعل، ((فَتَسْبِيحُ اسْمِ اللَّهِ النُّطْقُ بِتَنْزِيهِهِ فِي الْخُوَيِّصَةِ وَبَيْنَ النَّاسِ بِذِكْرٍ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ كَالسُّجُودِ وَالْحَمْدِ. وَيَشْمَلُ ذَلِكَ اسْتِحْضَارَ النَّاطِقِ بِأَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ مَعَانِيَ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ إِذِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ مَعْنَاهُ. وَبِتَظَاهُرِ النُّطْقِ مَعَ اسْتِحْضَارِ الْمَعْنَى يَتَكَرَّرُ الْمَعْنَى عَلَى ذِهْنِ الْمُتَكَلِّمِ وَيَتَجَدَّدُ مَا فِي نَفْسِهِ مِن تَعْظِيم لله تَعَالَى))(٥٥).

وإذا كانت الصيغ الفعلية المجردة(٥٦) تدلّ على أصل الحدث متعديًا كان أو لازمًا مع دلالتها على الزمن ؛ فإنّ الصيغ الفعلية المزيدة تتعدد كلّ صيغة منها تعدداً يظهر معه، وهي خارج السياق، عدم وضوح المعنى التركيبي أو احتماليته ، فيمكن القول بإنّ الدلالة المتعددة للصيغة وهي خارج السياق تتلاشى ليبرز أحد المعاني على أنّه المعنى التركيبي المراد ، والذي يقبله السياق تبعًا لما يحمله من جملة علاقات بين عناصره (٥٧) ، فالفعل (سبّح) خضع لضغط سياق الآية والمتكون من العناصر الأخرى (الكلمات المعجمية والتركيبية) فحدّ ذلك الصيغة من أن تتعدد معانيها ، بل ألغتها جميعًا ليبقى المعنى الذي يتواءم وعناصر الآية الأخرى ، وهو التكثير وهذا لا يتأتى من الصيغة وحدها فالفعل (سبّح) إذا صيغ على (فعّل) لا يتعدد من الفاعل الواحد، فالتسبيح لا يتعدد ،لكن التعدد يكمن في

المسبِّحين من المخلوقات أجمع ، وتأسيسًا على ذلك يمكن القول بأنّه ليس معنى التكثير نابعًا من (سبّح)؛ لأنه يقع في الواحد ،فيمكن حمل التضعيف في الصيغة على تعدد فعل التسبيح من كلّ مسبِّح، فتحقق النسق القرآني بما استودع من أسرار التعبير عن فعل الأمر بهذه الصيغة فيما يخص التسبيح ليفتح مساحات واسعة للكشف عن قيمه التطبيقية ونماذجه المنسقة المترابطة التي لا تكاد تنتهي.

وفي مقابل هذه الصيغة الفعل (ذكّر) في قوله تعالى : ((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى))[٥٨]، فالأمر: مُسْتَعْمَلٌ فِي طَلَبِ الدَّوَامِ ، والتَّذْكِيرُ: تَبْلِيغُ الذِّكْرِ وَهُوَ الْقُرْآنُ،فنجد دلالة الفعلين في الآيتين متساوية، إذ أعقب فعل الأمر (سبّح) بأمره لنبيّ الرحمة ((صلى الله عليه وآله)) بالتذكير، أي التبليغ بالاستمرار عليه ،إرْهَافًا لِعَزْمِهِ، وَشَحْذًا لِنَشَاطِهِ لِيَكُونَ إِقْبَالُهُ عَلَى التَّذْكِيرِ بِشَرَاشِرِهِ فَإِنَّ امْتِثَالَ الْأَمْرِ إِذَا عَاضَدَهُ إِقْبَالُ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ كَانَ فِيهِ مَسَرَّةٌ لِلْمَأْمُورِ، فَجَمَعَ بَيْنَ أَدَاءِ الْوَاجِبِ وَإِرْضَاءِ الْخَاطِرِ[٥٩].

ونلمح في صيغ الأمر والتوجيه والإرشاد مشاعر القرب والرعاية والتوجيه وهي صيغة جاءت لكي تشد من عزيمة النبيّ ((صلى الله عليه وآله)) إرادةً وصبرًا وإصرارًا يمهد ذلك كلّه للأمر بالتسبيح والتذكير، ما يؤكد انتقاء الألفاظ وتنسيقها فيما بينها في السورة كاملة .

فالنسق في هذين الفعلين يكمن في مخزون اللغة ممّا استعمله القرآن الكريم أمثلة تبدو فيها القيمة الذاتية للمفردة القرآنية قبل دخولها النص ، والقيمة التعبيرية الأخرى بعد دخولها فيه[٦٠] فـ:(سبّح ، وذكّر) وردا على هذه الصيغة (فعّل) موحية بدلالتها البنائية في مضمونها على الثقل والمتمثل في التضعيف ،فهذه الصيغة ليست مستقلة عن نسق النظم الذي يحتويها وهذا ما تلقيناه عن الإمام الجرجاني إذ بذل الجهد الكبير ليثبت في كتابيه : (دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة) أنّ القيمة التي تؤديها الحركة والحرف واللفظ معنى وصيغة وصوت ليست مستقلة عن نسق النظم الذي يحتويها ؛ لأنّ نظم الحروف هو تواليها في

النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضٍ عن معنى ، وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك (٦١).

والتسبيح كما معروف من الأمور الغيبية فقد عبّرت عنه آيات القرآن الكريم ووصفته وصفًا دقيقًا تسبيح المخلوقات الذي تكرر بصيغة الفعل كثيرًا للتعبير عن معنى الحدوث والتجدد، ومنه تسبيح الإنس والجن وتسبيح الجبال المتجدد الحدوث ، لأن من قدرات اللغة أن تستطيع صيغة كلمة واحدة منها أن تُحضِر مشهدًا هائلًا كاملًا قد يكون ممّا لا يُرى في الواقع من نحو تسبيح الرعد والملائكة وغيرهما (٦٢) ، فجاءت هذه الأفعال لتدل على إثبات الصفة في الموصوف وعلى الحدوث والتجدد، إذ يقول الجرجاني : ((وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبتِ به شيئاً بعدَ شيء)) (٦٣) .

ومن صور النسق الصرفي الأخرى المتوافرة في الآية اختيار الفعل بحسب وزنه في قوله تعالى: ((وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى))(٦٤) ، فالفعل (أخرج) ثلاثي مزيد بهمزة في أوّله ، لأنّها تزاد إذا كانت متصدرة ويتأخر عنها ثلاثة أصول فقط (٦٥) ، وأشهر ما تؤديه زيادة الهمزة معنى التعدية وهو ما أفادته هذه الصيغة في سياق الآية ، إذ عُدِّي الفعل (خرج) بالهمزة إلى مفعول به واحد وهو (المرعى) ، ((والتعدية صورة من صور توسعة مجال الفعل ، وتكون هذه التوسعة بتحويل الفعل اللازم إلى متعدٍّ ؛ أو بتحويل المتعدي لمفعول واحد إلى متعدد المفعولية ؛ فالفعل اللازم مجاله الفاعل فقط، وعندما يحوّل إلى متعدٍّ يصبح مجاله الفاعل والمفعول معًا ، والمتعدي إلى مفعول واحد مجاله الفاعل والمفعول ، وعند توسعة مجال تعديته يصبح متعديًا إلى مفعولين أو ثلاثة))(٦٦) ،فهذه صورة نسقيّة جلية في الآية، إذ تبدو أهمية النسق في اختيار المفردة من مخزون اللغة كما بيّنا، وتنظيم هذا الاختيار إذ يتلاءم مع السياق الذي يجري فيه الكلام ، ومدار استحسانه في ذلك الحس اللغوي ، فعندما يعمد المبدع إلى تكوين جملة لغوية يقوم بعمليتين متكاملتين ، في الأولى : يُجري اختيارًا في مفردات مخزونه اللغوي ، وفي الثانية: يُجري عملية تنظيم لما تمّ اختياره ؛ليتلاءم هذا التنظيم مع النسق

الذي يدور في الكلام [٦٧] ، فكيفما وهو كلام الباري عزّ وجلّ المعجز في نظمه والباهر في صنعه وصياغته!!! ومثال هذا قوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى))[٦٨] ، فالمعنى الذي أدته صيغة الفعل (أفلح) هو الاستحقاق [٦٩] ، أي: فاز وظفر بالبغية من تطهر من الشرك وقال : لا إله إلّا الله ، ومن كان عمله زاكٍ ومن رضخ من ماله وزكّاه وذكر اسم ربّه وحده ولم يقرنه بشيء من الأنداد فصلى الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل [٧٠] ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ نَجَاحُ الْمَرْءِ فِيمَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ فَهُوَ يَجْمَعُ مَعْنَيَي الْفَوْزِ وَالنَّفْعِ وَذَلِكَ هُوَ الظَّفَرُ بِالْمُبْتَغَى مِنَ الْخَيْرِ[٧١] ، واستحقاقه .

وكلا الفعلين (أخرج ، وأفلح) حققا التناسق ببيان أوجه التعلق والربط بين الآيات التي ظاهرها الانفصال والاستقلال ، ما أدى إلى ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني ، فهذا علم عظيم[٧٢] .

ويستمر المشهد التناسقي في السورة بما لا يقتصر على تحققه بين أجزائها المتمثلة في آياتها المتفرقة بل يتعداه إلى وقوعه في الآية الواحدة عينها ، والذي تمثل في الفعل (تزكّى) في قوله :((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى)) ، فصيغة (تفعّل) الثلاثي المزيد بالتاء والتضعيف تفيد التكلف[٧٣] في سياق الآية، وقد بيّن معناها ابن عاشور في قوله :((فَمَادَّةُ التَّفَعُّلِ لِلتَّكَلُّفِ وَبَذْلِ الْجُهْدِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ هُوَ التَّوْحِيدُ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَيَجِيءُ بِهَا، فَيَشْمَلُ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ))[٧٤] ،إذ نلحظ مطابقة استعمال الصيغة لهذه الحقيقة المتمثلة بالتكلف بما يتناسب وبناء الصيغة الصرفية للمشهد ما يدل على إحكام النسق الصرفي للآية، وزيادة على ذلك مطابقة تناسق الصيغتان في الآية الواحدة إذ اختير التعبير عن هذه الحقائق باستعمال الأفعال المضارعة (أفلح ، وتزكّى) في النسق الصيغي الواحد للآية عينها، لأن أثر البنية هو التوحيد ليس إلّا ويتضح هذا بكون البنية أيًّا

كان نوعها تملك وحدة داخلية تضمن تعبير كل العناصر عن جزء من نصٍ ما[٧٥].

ومن صور النسق الأخرى تكرار صيغة (فعّل) فيما يقارب نهاية الآية لكن بفتح العين مع الفعل الماضي لا الأمر ، فهي مؤتلفة المعاني متسقة المباني فلا ريب من أن يتحقق النسق في صيغها الصرفية بين أجزائها على مستوى السورة بأكملها ، وذلك قوله : ((وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى))[٧٦] وبما أنّ التكثير من أشهر معاني (فعّل) كما عرضنا له ، فدلت الصيغة على تكثير فعل أداء الصلوات الخمس وكثرة القيام به والمحافظة عليه والاهتمام به ، وتكرار الصيغة بنفس المعنى الذي تؤديه في الآيتين[٧٧] دليل قاطع على تحقيق وحدة السورة واتساقها ، وقد ألمح مصطفى صادق الرافعي إلى أنّه يوجد في بناء السورة رابطًا خفيًا يرص لبناتها مع تعدد وجوه الكلام فيها أمرًا ونهيًا وتبشيرًا وتحذيرًا وإخبارًا وتمثيلًا ، وقد سمّى هذا الرابط بوحدة التركيب إذ قال : ((وهذه الروح التركيبية وهذه الوحدة الموضوعية هي التي تميز القرآن من غيره رغم تعدد الوجوه التي يتصرف فيها من أغراض الكلام كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال والجدل والتشريع ... ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس ، وعلى مقدار مابين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازًا ، كما تعرفه كلام البلغاء عند تباين الوجوه التي يتصرف فيها))[٧٨].

ومن مظاهر النسق الصرفي الأخرى وقوع اسم التفضيل في مواضع متفرقة من السورة بصورة حققت النسق بين أجزائها المكونة لها ومن هذه المواضع قوله تعالى : ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى))[٧٩] ، فـــ(الأعلى) اسم تفضيل على زنة (أفعل) من الثلاثي استعمل عاريًا خاليًا من معنى التفضيل ؛لاستحالة إثبات وجود وجه تفضيل بين ربّ العزّة وغيره من المخلوقات ، فتضمن بذلك معنى الصفة وأفاد الزيادة في صفة العلو لله سبحانه ، ومعناه كما صرّح به ابن عاشور هو :((لَفْظُ الْأَعْلَى اسْمٌ يُفِيدُ الزِّيَادَةَ فِي صِفَةِ الْعُلُوِّ، أَيِ الِارْتِفَاعُ. وَالِارْتِفَاعُ مَعْدُودٌ

فِي عُرْفِ النَّاسِ مِنَ الْكَمَالِ فَلَا يُنْسَبُ الْعُلُوُّ بِدُونِ تَقْيِيدٍ إِلَّا إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَذْمُومٍ فِي الْعُرْفِ، وَلِذَلِكَ إِذَا لَمْ يُذْكَرْ مَعَ وَصْفِ الْأَعْلَى مُفَضَّلٌ عَلَيْهِ أَفَادَ التَّفْضِيلَ الْمُطْلَقَ كَمَا فِي وَصْفِهِ تَعَالَى هُنَا ... وَالْعُلُوُّ الْمُشْتَقُّ مِنْهُ وَصْفُهُ تَعَالَى: الْأَعْلَى عُلُوٌّ مَجَازِيٌّ، وَهُوَ الْكَمَالُ التَّامُّ الدَّائِمُ))(٨٠)، فالأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار، لا بمعنى العلوّ في المكان والاستواء على العرش حقيقة، وأن يصان عن الابتذال والذكر، لا على وجه الخشوع والتعظيم(٨١).

والصفة الأولى القريبة في هذا الآية هي صفة الرب. وصفة الأعلى ، وظلال هذه الصفة الحانية ممّا يتناسق مع جو السورة وبشرياتها وإيقاعاتها الرخية، وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى وتطلق الروح لتسبح وتسبح إلى غير مدى ، وتتناسق مع التمجيد والتنزيه، وهو في صميمه الشعور بصفة الأعلى(٨٢).

و(الأعلى) اسم تفضيل مقترن بـــــ(ال) فوجبت مطابقته لقبله إفرادًا وتثنيَة وجمعًا وتأنيثًا وتذكيرًا(٨٣) ، وهذه (ال) لا تخلو من الدلالة على الزيادة في المعنى، فكما لا يخفى على أحد أنّ أي زيادة في المبنى توجب الزيادة في المعنى، إذن فدلالتها هنا على المفاضلة أقوى من دلالة القسمين الآخرين (المجرد والمضاف) ؛ لأن هذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة ، كقول تعالى: ((وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى))(٨٤) ، فالتّفضيل بـــ (أل) هو أعلى وأعم درجات المفاضلة هنا(٨٥) .

ومن صور النسق المتمثلة باسم التفضيل قوله تعالى : ((وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى))(٨٦) ، فـــــ(اليسرى) اسم تفضيل على زنة (فُعْلَى) مقترنة بالألف واللام متضمن لمعنى التفضيل ، أي : نيسرك للطريقة التي هي أسهل وأيسر في الشريعة الإسلامية وَ(الْيُسْرَى) : مُؤَنَّثُ الْأَيْسَرِ، وَصِيغَةُ (فُعْلَى) تَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْوَصْفِ لِأَنَّهَا مُؤَنَّثُ

(أَفْعَلَ) ، وصفة اليسر في هذه الآية إيمَاءٌ إِلَى اسْتِتْبَابِ تَيَسُّرِهِ لَهَا بِمَا أَنَّهَا جُعِلَتْ يُسْرَى، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حِفْظُهُ مِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي يَشُقُّ مَعَهَا تَلَقِّي الْيُسْرَى [٨٧].

ومن التفضيل قوله تعالى : ((وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى))[٨٨] ، فـ(الأشقى) اسم تفضيل على زنة (أفعل) من الثلاثي ، وفيه معنى الزيادة على اتصاف الموصوف باسم التفضيل ، فالاشقى الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق، أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في العداوة لرسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم))[٨٩]، والأشقى إطلاقا وإجمالا هو الذي تتمثل فيه غاية الشقوة ومنتهاها، والأشقى في الدنيا بروحه الخاوية الميتة الكثيفة الصفيقة، التي لا تحس حقائق الوجود، ولا تسمع شهادتها الصادقة، ولا تتأثر بموجباتها العميقة. والذي يعيش قلقا متكالبًا على ما في الأرض كادحا لهذا الشأن الصغير! والأشقى في الآخرة بعذابها الذي لا يعرف له مدى[٩٠] ، وهذا المعنى يتلاءم كلّيًا مع تركيب الصيغة التي جاء عليها اسم التفضيل تحقيقًا للتواصل النسقي للصيغ الصرفية على مستوى السورة أجمع .

وتستمر سلسلة التناسق بين أسماء التفضيل بصورة مباشرة في هاتين المتواليتين التي تبعت إحداهما الأخرى مع اختلاف الصيغة ، وذلك في قوله تعالى: ((الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى))[٩١] ، فـــ(الكبرى) اسم تفضيل على زنة (فعلى) مقترنة بالألف واللام ، وهذه الصيغة من أقوى الأدلة على تضمنها التفضيل على وجه التحذير والتهويل والإنذار، فلا يُتَصَوّر مجيء اسم التفضيل على صيغته من غير أن يراد منه معناه ، والمعنى : النار الكبرى هي نار جهنم. الكبرى بشدتها، والكبرى بمدتها، والكبرى بضخامتها إذ يمتد بقاؤه فيها ويطول [٩٢].

ومن صور التفضيل أيضًا قوله تعالى :((وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))[٩٣] ، إذ حوت هذه الآية على اسمي تفضيل ، الأول (خير) والأصل (أخير) فحذفت همزته؛ لكثرة الاستعمال كما هو متعارف عليه، و(أبقى) من الثلاثي على زنة (أفعل) يفيد التفضيل ، أي أطول بقاء وهَذَا الْخَبَر يَزِيدُ إِنْشَاءَ التَّوْبِيخِ[٩٤] تَوْجِيهًا

وَتَأْيِيدًا بِأَنَّهُمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ حَيَاةٍ آخِرَةٍ قَدْ أَعْرَضُوا عَمَّا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى[٩٥]، ووظيفة اسم التفضيل هنا هو الدلالة على زيادة الموصوف باسم التفضيل على الموصوف الذي يقع بعده [٩٦] وهو محذوف هنا بقرينة يوضحها سياق السورة وهي دلالة ما قبله عليه، وتقدير الكلام : خير وأبقى من الدنيا، وقد أشار سيبويه إلى ذلك ضمنًا بقوله : ((وإن شئت قلت: هو خيرٌ عَمَلا وأنت تَنْوِي " منك "))[٩٧] ، تابعه على ذلك ابن جنّي [٩٨]، وابن يعيش بقوله : ((اعلم إنّهم قد يحذفون (من) من (أفعل) إذا أُريد به التفضيل ، ومعنى الفعل وهم يريدونها ، فتكون كالمنطوق بها))[٩٩] .

ويستمر النسق الصرفي المتمثل بصيغ اسم التفضيل المتنوعة بصورة منتشرة بين أجزاء السورة المكونة لوحدتها البنائية الصرفية ، وذلك في قوله تعالى : ((إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى))[١٠٠] ، و(الْأُولى): مُؤَنَّثُ (أَفْعَلَ) مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ فَإِمَّا أَنْ نَقُولَ: أَصْلُهَا (أُولَى) سكَنَتِ الْوَاوُ سُكُونًا مَيِّتًا لِوُقُوعِهَا إِثْرَ ضَمَّةٍ، أَوْ أَصْلُهَا: (وُولَى) بِوَاوٍ مَضْمُومَةٍ فِي أَوَّلِهِ وَسَكَنَتِ الْوَاوُ الثَّانِيَةُ أَيْضًا، أَوْ أَصْلُهَا: (وُأْلَى) بِوَاوٍ مَضْمُومَةٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ فَوَقَعَ فِيهِ قَلْبٌ، فَقِيلَ: (أُولَى) فَوَزْنُهَا عَلَى هَذَا (عُفْلَى)[١٠١].

وبهذه الآية تنتهي الوحدة النسقية للصيغ الصرفية لاسم التفضيل والتي تمثلت بصيغ متنوعة منتشرة في أرجاء السورة عمومًا ، وهذا التنوع لا يخلو من دلالات معينة دلت عليها كل صيغة بحسب بنائها الصرفي فتحققت بذلك وحدة السورة وحسن اتساقها ،وقد ألمح رشيد رضا (١٣٥٤هـ) في تفسيره إلى أنّ تعدد الصيغ وتنوعها والجمع بينها وبين النسيج المتماسك من أحد دلائل الإعجاز قائلًا :((إِنَّ التَّفَنُّنَ فِي مَسَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ مُنْتَظِمَةٍ فِي سِلْكِ مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ وَخَصَائِصِهِ الْمُدْهِشَةِ الَّتِي لَمْ تَسْبِقْ لِبَلِيغٍ، وَلَنْ يَبْلُغَ شَأْوَهُ فِيهَا بَلِيغٌ ...، وَالْكَلَامُ لَمْ يَخْرُجْ بِهَذَا التَّنْوِيعِ عَنِ انْتِظَامِهِ فِي سِلْكِهِ، وَحُسْنِ اتِّسَاقِهِ فِي سَبْكِهِ، فَهُوَ دَائِرٌ عَلَى قُطْبٍ وَاحِدٍ فِي فَلَكِهِ، وَهُوَ الْكِتَابُ، وَالْمُرْسَلُ بِهِ، وَحَالُهُ مَعَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ))[١٠٢] .

ومن هذا التنوع الصيغي نستبصر حقيقة إثبات وحدة نسق السورة المتحقق بها، وندرك أنّ لكلّ سورة من القرآن مقصود رئيس وغرض معين تدور حوله آياتها ،وهو تنزيهه سبحانه والظفر آخرًا برضوانه .

وأشار إلى وحدة بناء السورة وتعانق موضوعاتها البقاعي الذي أبدع علماً جديداً من علوم القرآن هو علم مقاصد السور ، وأفرده في كتاب أستعرض فيه مقصود كل صورة ،إذ قال في مقدمته :((فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا ، فإذا وصل الأمر إلى غايته ، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه ، على نهج آخر بديع ، ومرقى غير الأول منيع ، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية ، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية ، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر ، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر ، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها ، وشعبة ملتحمة بما بعدها ، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرّ، البديعة النظم، العجيبة الضم))(١٠٣) .

وسلكت الآيات داخل السورة مسالك متعددة لتحقيق النسق الصرفي من طريق صيغه المتنوعة ما أدى إلى الترابط والانسجام بين أجزائها المتماسكة في بنائها ، وتأديتها مقاصدها الكلية على أُسس دلالية واضحة المعالم ومنسقة ،فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها وإنّما هو حسن السياق ولطف التمهيد (١٠٤) .

ومن مظاهر النسق الصرفي المتوافرة في الآية الإعلال في قوله تعالى: ((سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى))[١٠٥] ، وحد الاعلال كما ورد في الكتب التي تناولته هو: تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه أو اسكانه أو حذفه"[١٠٦]. والواضح أن العلة المرجوة من الاعلال هي التخفيف وذلك مقصود نطقي لدى العرب الذين جعلوا لغتهم رقيقة ذات جرس موسيقي هدفه الخفة وهو باب واسع في كتب اللغة.

ففي الفعل (تنسى) إعلال بالقلب[١٠٧] ، إذ أصل الفعل (تنسي) ، بياء متحركة في آخره ، أي تحركت الياء بعد فتح وهذا ما اوجب قلبها إلى ألف؛ تيسيرًا للنطق وملائمةً لبنية الآية، وهذا التحويل والقلب شائع مطّرد ؛ لأنّه يخضع لقواعد عامة يجري بمقتضاها [١٠٨]، ومثاله في المتوالية الأخرى، قوله تعالى : ((إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى))[١٠٩] ، فأصل (يخفى) : (يخفي) بياء متحركة في آخره بعد فتح أيضًا ، فقلبت ألف؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ومثاله قوله تعالى: ((سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى))[١١٠] ، ففي الفعل (يخشى) إعلال بالقلب وأصله (يخشي) ، فقلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ومنه في المتوالية الأخرى قوله تعالى: ((وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى))[١١١] ، وأصله الأشقي ، فقلب الياء ألفاً ؛ وذلك لتحركها وانفتاح ما قبلها أيضاً.

والاعلال بالقلب يعني قلب حرف العلة إلى حرف علة آخر مجانسة للحركة التي سبقته أو الحرف الذي سبقه وذلك يشمل نوعان من القلب، ونعني بهما قلب الواو ياءً وقلب الواء والياء ألفاً، ولكن ذلك القلب يكون مشروطاً في النوع الأول من القلب بأن تكون الواو واقعة متطرفة بعد كسر، أي أن تقع في الطرف بعد كسرة أو مسبوقة بكسرة، وقد ورد هذا الاعلال بالقلب ليزيد السورة نسقاً رائعاً في مواضع عدة كالآتي:

الآية – ينسى، يخفى، يخشى، يصلى، يحيا .

الماضي– نسِيَ، خفِيَ، خشِيَ، صلِيَ، حيِيَ.

الأصل– نسِوَ، خفِوَ، خشِوَ، صلِوَ، حيِوَ .

ومن قلب الواو ياء كذلك إذا وقعت تلك الواو لاماً لـ (فُعْلَى) وصفاً وقد جاءت في لفظ الدنيا في السورة المباركة:

الدنيا – دنيا / أصلها ← دُنْوَى ← دنيا

(مجردة من آل) (فعلى – وصف) (قلب الواو ياءً)

أما قلب الواو والياء ألفاً فهو قلب الواو والياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلها وقد ورد منها في السورة المباركة الصور الآتية:

هدى – أصلها ← هَدَيَ

شاء – أصلها ← شَيَأَ

صَلّى ← صَلْلَوَ (تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ثم شددت اللامان) ، ومثله تزّكى وماضيه زكّى ويبدو لي أن الرسم القرآني للزكاة والصلاة التي ترسم بالواو في المصحف الشريف قد كان ناظراً لهذا الأصل الواوي.

والنوع الثاني من الاعلال وهو الاسكان أو التسكين ويقال له الاعلال بالنقل فهو نقل حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله أو هو تسكين الحرف المعتل في الكلمة إذا كان متحركاً وكان قبله صحيحاً ساكناً بنقل حركته إلى الصحيح قبله ومثاله في سورة الاعلى:

يَمُوتُ – أصلها ← يَمْوتُ – صارت ← يَمُوْت ، أما اعلال الحذف فقد ورد لفظ اسم وهو حذف يسميه الصرفيون حذفاً على غير قياس فأصله (سِمْوٌ) حذفت واوه للتخفيف وعوّض عنها بالهمزة في أول كلمة فصارت (اسم) وفي هذا اللفظ جدل كبير بين البصريين والكوفيين مفصل في كتاب الانباري الموسوم بالانصاف وتناولته في كتابي الاحتجاج العقلي في النحو العربي فليراجع هناك إذ بقيت المسألة شغل اللغويين الشاغل منذ القديم وحتى عصرنا الحالي وتداخلت فيها آراء الفلاسفة والمناطقة(١١٢).

ونخلص إلى أنّ لحروف العلة في العربية نظام خاص يختلف عن نظائرها من الحروف الصحيحة ؛ لأنّه إذا كان أحد أصول الكلمة حرفًا من أحرف العلة ، فلا يبقى على حاله في مختلف تصريفات الكلمة ؛ لأنّها من الناحية الصوتية

ضمن الحروف الصحيحة ولكنّها من باب الإعتلال تعامل معاملة أحرف العلة ، فتتناوب مع الألف في أصل الواحد [١١٣] .

ومن ذلك يتبين لنا أنّ ظاهرة الإعلال المتوافرة في الآية جاءت متناسقة بنوعها وهو الإعلال بالقلب ومتناسقة في الحروف المنقلبة إلى غيرها وهو قلب (الياء إلى ألف) ، زيادة على مجيء الآيات المتضمنة له بشكل متوالٍ في الآية (٦) و(٧) وفي الآية (١٠) و(١١) ، ما يدل دلالة قاطعة على حضور النسق بين أجزائها وعرض الألوان من الملائمة والانسجام بينها ما أدى إلى تماسك الآيات داخل السورة وترابطها من طريق استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، فأسلوب التعبير القرآني في السورة بما استعمله من ألفاظ وقع بها الإعلال حقق النسق على وجه الشمول والدقة لأجزائها كافة .

وقد ورد الابدال في الفعل (سيّذكّر) إذ ابدلت تاء الافتعال دالاً لأن فاء الكمة ذالاً تطبيقاً للقاعدة الصرفية التي تنص على أنه إذا كانت فاء الافتعال دالاً أو زاياً، أبدلت التاء دالاَ مهملة لاستثقال مجيء التاء بعدها .

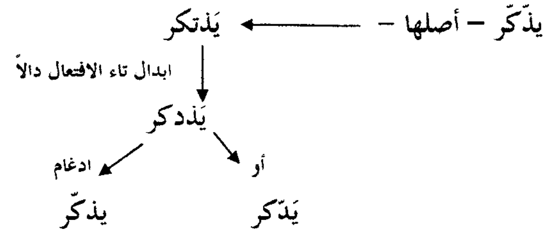

أما الادغام الوارد ذكره هنا فهو "أن تصل حرفاً بحرف مثله من غير أن تفصل بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة[١١٤]، والخليل رحمه اللّه (١٧٥هـــــــ) أشار لهذه الظاهرة بقوله "فالتشديد علامة الادغام"[١١٥] ،وعقد سيبويه (١٨٠هـــــــــــ) للادغام باباً عنوانه "هذا باب الادغام في الحرفين الذي تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه"[١١٦]. وقال ابن جني (٣٩٢هـــــــ): " هو تقريب صوت من صوت"[١١٧] ولم يختلف المحدثون عما سبق ذكره فالادغام عندهم: "فناء الصوت

الاول في الثاني إذ ينطق بالصوتين صوتاً واحداً"(١١٨)، واصطلحوا على تسمية الظاهرة بالمماثلة أو المشابهة"(١١٩)، والحق أن أقصى ما يصل إليه الصوت بما يجاوره أن يفنى فيما يجاوره من صوت آخر فلا يترك له إلاّ علامة تدل عليه فأحياناً لا يترك له أثراً وهو ما اصطلح عليه القدماء بالادغام أما إذا كان التأثير ناتجاً عن تجاور حركتين سواء أكان ذلك التجاور في كلمة واحدة أو كلمتين فقد اصطلح عليه بــــ "الاتباع الحركي" وبهذا يتضح أن نسبة التأثير تختلف من صوت لآخر فمنها ما هو سريع التأثر فيندمج في غيره أكثر ممّا قد يطرأ على غيره، والعلة في ذلك هو المجاورة التي تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة تحقيقاً للانسجام في الصفات والمخارج لذا فقد اصطلح على هذا النوع بالانسجام الصوتي(١٢٠) والحق أنّ أقصى درجات المماثلة بين المتجاورين هو دمج الصوت الأضعف بالصوت الأقوى "والغرض من الادغام هو إرادة التخفيف، بمعنى تحقيق السهولة في النطق بأقل جهد عضلي ممكن(١٢١)، ومعنى هذا أن الادغام يقع بين قوتين ضاغطتين: ضغط ادراك التمييز عند السامع وضغط الجهد النطقي عند المتكلم.

وقد قسم المحدثون عملية التأثير على قسمين: الأول: تأثر رجعي (Regressive) ويعني فناء الصوت الأول في الثاني وهو كثير الشيوع في العربية فالادغام فيها قائم على المماثلة الرجعية(١٢٢)، والثاني تأثر تقدمي (Progressive) وفيه يتأثر الصوت الثاني بالاول وهو الشائع في اللغة الانكليزية فضلاً عن ذلك عن وجوده في العربية.

وقد ورد الادغام في السورة المباركة في المتماثلين سواء أكان ذلك في داخل الكلمة الواحدة أو في كلمتين منفصلتين متجاورتين فمما جاء في كلمة واحدة "سبّح" وهو من الباء الساكنة الاولى بالباء المتحركة الثانية فأصلها سَبْبَح، وهذا ادغام واجب أقره الصرفيون إذا كان أول المثلين ساكن والثاني متحرك، ولم يكن الاول مدّاً ولا همزة.

ومن هذا الادغام الوارد في السورة الكريمة: "ربّك، فسوّى، قدّر، إلاّ، اللّه، إنّه، نيسِّرك، فذكِّر، سيذَّكّر، يتجنبّها، ثمَّ، ربّه، فصلّى، إنَّ، وهذا يعني أن مساحة الادغام العريضة هي الاسم والفعل والحرف.

ومما جاء منه في كلمتين، إن نفعت. أمّا ادغام المتقاربين فقد ورد في ادغام لام التعريف مع أحد الحروف الشمسية الذي أوجبه الصرفيون بادغام أل التعريف مع حروف (التاء والثاء والدال، والظاء، واللام والنون)[١٢٣]، وقد ورد في سورة الاعلى في (الذي) لثلاث مرات و (الذّكرى، النّار، الدّنيا، الصّحف) ويتم هذا الادغام على النحو الآتي:

قلب الحرف الأول إلى لفظ الحرف الثاني ومن ثم ادغامه في الثاني ففي لفظ (الذي) نقلب اللام إلى لفظ الذال ثم ندغمهما معاً وهو ادغام واجب كما ذكرنا.

لا نغفل عن حقيقة جلية متمثلة باعتماد النسق الصرفي كثيرًا على النسق الصوتي ولا سيما في باب الإعلال ، فالتغيير الصوتي يتبعه بالضرورة تغيير في بنية الكلمة في حروفها وحركات هذه الحروف[١٢٤]، والبنية الصرفية رغم اتصالها بالدراسات الصوتية ، فإنّها تشكل جسرًا بين أجزاء الجملة والنظام الصوتي في النسق القرآني ، والفرق بين السمات الصرفية والسمات النحوية أنّ المفردة تتضمن المعنى من جهة صيغتها الصرفية خارج تركيب الجملة ، وهذا المعنى تتضمنه البنية الداخلية للمفردة ذاتها [١٢٥] .

ومن مظاهر النسق الصرفي المتوافرة صيغة الجمع على غير قياس في قوله تعالى: ((إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى))[١٢٦] ، فـ(الصّحف) جمع تكسير صحيفة (فعيلة) بالتاء ،على زنة (فُعُل) يخفَّف ويثَقَّل وهو جمع نادر ؛ لأنّ قياس جمعه على (صحائف) [١٢٧] ، ولَكِنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ مَقِيسٍ هُوَ الْأَفْصَحُ كَمَا قَالُوا: سُفُنٌ فِي جَمْعِ سَفِينَةٍ، وَوَجْهُ جَمْعِ الصُّحُفِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ لَهُ صحف وَأَن مُوسَى كَانَت لَهُ صُحُفٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ مَجْمُوعُ صُحُفِ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ [١٢٨] ، وقد جمعُوا (الصَّحِيفَة) على (صحافٍ)[١٢٩] ، ويتحقق وجه النسق بين هذه الآية والتي تليها : ((صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى))[١٣٠] ، بتكرار لفظ الجمع (صُحُف) وفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بيان لقوله: لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى، وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي صُحُفِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي مِنْهَا صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٣١) ، وَجَاءَ نَظْمُ الْكَلَامِ عَلَى أُسْلُوبِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ لِيَكُونَ لِهَذَا الْخَبَرُ مَزِيدَ تَقْرِيرٍ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ فَقَوْلُهُ: صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسى بَدَلٌ مِنَ الصُّحُفِ الْأُولى (١٣٢).

ونخلص إلى حقيقة مفادها أنّ إدراك وحدة نسق السورة القرآنية والكشف عن المحور الذي تدور عليه جميع مواضيعها وإبراز الروابط التي تربط بين أجزائها تعدّ من أهم العوامل المساعدة في تفهم معاني آياتها واستجلاء الدلالات المكنونة في طواياها (١٣٣) ، فوحدة النسق الصرفي في السورة متحققة من طريق التصاق معاني صيغها والتحام مقاصدها وإحكام مبانيها ، فآياتها متراصة الواحدة تلو الأخرى في سلك منظم متناسق يشبه انتظام حبات اللؤلؤ في العقد الواحد في معرفة وجه الصلة بين الآية وسابقتها ولاحقتها وإدراك مواضعها من السياق العام للسورة ، ونظمها ووحدة بنائها المعنوي .

ونلحظ أنّ السورة متماسكة الأجزاء المكونة لوحدتها، وهذا لا يخلوا من فائدة تكمن في البحث عن فضاء الانسجام نحو تأسيس القواعد الكلية تشكيلًا للمجموع المنظم الذي يسعى وراء عناصرها مقيمًا بينها جملة من العلاقات المؤلفة لنسيجها النصي ، ومن هنا يتضح أنّ أثر التماسك النصي والتناسق هو اكتشاف ما يجعل العناصر اللغوية تنتظم على نحوٍ دون آخر بحثًا عن السيرورة البنائية المسؤولة من طرق تشكيل الانجاز اللغوي فالمشترك النظامي كيان تنصهر فيه الذرات البنائية بغية تكوين المتصور الذهني الموحد للعناصر اللغوية على تجليات النسق ، وهكذا يسعى التماسك إلى التحرك في نظام دائري مداره التكثيف المهيمن على الاختيارات المتاحة من طرق التعانق النصي ، وتشير فكرة التماسك إلى القانون البنائي الذي يشكل رابطًا ذهنيًا يبنى على التواصل بين أركان التركيب اللغوي ويظهر هذا المطلب حرصًا على مكونات البنية في نسق أساسه المرجع الوظيفي المنطوي على الفضاء الدلالي الذي تتواصل فيه الأبنية توصلًا للمعنى المراد منها (١٣٤) .

الهوامـــش

١. لسان العرب ، (صرف)، دار صادر: ٢٢٨/٢ .
٢. وانظر: الاسراء ٨٩، ط ١١٣، الأحقاف ٢٧، الفرقان ٥٠.
٣. وانظر: الانعام ٤٦ ، ١٠٥،٦٥.
٤. مقاييس الغة (صرف): ٣٤٢/٣ – ٣٤٣ ، دار الفكر.
٥. امنظر : المنهج الصوتني للبنية العربية: ٢٣.
٦. شرح شافية ابن الحاجب : ١/١ .
٧. الكتاب: ٣٩٨/٤ .
٨. المصدر نفسه: ٢٤٢/٤.
٩. المصدر نفسه: ٢٦٧/٢ .
١٠. المنصف : ٣٣.
١١. شرح شافية ابن الحاجب: ٦/١-٧.
١٢. التصريف العزبي من خلال علم الأصوات الحديث، الطاهر كلوش، ص١١.
١٣. مدخل إلى دراسة الصرف العربي ، د،مصطفى النحاس، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م: ص ٣٧.
١٤. المصنف : ٣٤.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. المصدر نفسه.
١٧. المقتضب: ٣٥/١ .
١٨. انظر: الموجز في النحو، لأبي بكر محمد بن السراج (٣١٦هـــ)، تحقيق مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٣٨٤هـــ - ١٩٦٥م، والجمل للزجامي.
١٩. شرح الشافية: ٦/١.

٢٠. اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٨٦.
٢١. المنصف: ٣١.
٢٢. وقد وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم: لقمان ١٩، الحجرات ٢،٣ ، وطه ١٠٨.
٢٣. لسان العرب : (صوت): ٣٠٢/٨ .
٢٤. لسان العرب : (صوت) : ٣٠٢/٨ .
٢٥. مناهج البحث في اللغة : ٦٧.
٢٦. الخصائص : ٣٣/١.
٢٧. علم اللغة للسعران: ١٠٤ ، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ١٣٥.
٢٨. التصريف العربي، لصالح القرمادي: ٢٧.
٢٩. التصريف العربي ، لصالح القرمادي : ٢٧ .
٣٠. العين : ٥٨/١ .
٣١. الكتاب : ٤٣٣/٤ .
٣٢. الأصوات اللغوية : ٤٥ – ٤٦ .
٣٣. علم الصوات العام، لبسام بكة: ص ٩٣.
٣٤. الكتاب : ٤٣٦/٤ .
٣٥. انظر الكتاب : ٤١٨/٤ ، وانظر مدخل إلى دراسة الصرف العربي: ص١٠١.
٣٦. المنهج الصوتي : ص ٩ .
٣٧. التصريف العربي: ٢٢.
٣٨. المصدر نفسه : ٢٢ – ٢٣ .
٣٩. سر الصناعة : ١٩.
٤٠. دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : ص٣٩.
٤١. التصريف العربي، البكوش: ص ١٩.

٤٢. مقدمة ابن خلدون : ٤١٧ .
٤٣. اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٣٤١ .
٤٤. أبنية الصرف : ٣٩ – ٤- .
٤٥. شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٦١٦ .
٤٦. المبدع في التصريف : ص ٤٩ .
٤٧. المصدر نفسه .
٤٨. النصف : ص ٢١٣ .
٤٩. المنهج الصوتي : ص ٢٥ .
٥٠. ينظر النسق القرآني دراسة أسلوبية : ١٥.
٥١. الأعلى : ١.
٥٢. لسان العرب : ٤٧٣/٤.
٥٣. ينظر معجم ديوان الأدب : ٣٣٨/٢، وما بعدها ،والمفصل في صنعة الإعراب :٧٢ – ٧٣، وشرح المفصل : ٤٣٩/٤، وشرح شافية ابن الحاجب: ٩٢/١.
٥٤. ينظر الممتع الكبير في التصريف : ١٢٩، وشرح المفصل : ٤٣٩/٤، وشرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (المرادي) : ٢٦٥/٢.
٥٥. التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٧٣ .
٥٦. معلوم أن الافعال تقسم إلى أفعال مجردة أي ثلاثية الجذر من نحو (خلق ، هدى، جعل، قرأ، نَسِيَ، شاء علم، خَفِيَ، صَلِيَ، مات، حيى، ذكر، وكلها واردة في السورة الكريمة بأزمان الأفعال المختلفة في السورة الكريمة والافعال المزيدة إما أن تكون مزيدة بحرف واحد من نحو سبَح، سوّى، قدّر، أخرج، يسّر، ذكّر، أفلح، صلّى، آثر والزيادة بالتضعيف أو همزة التعدية، وإما مزيدة بحرفين من نحو يَذّكّر – تفعّل، تجنّب، تزكى.
٥٧. ينظر دلالة السياق : ٣٧٩ .
٥٨. الأعلى : ٩.

٥٩. ينظر التحرير والتنوير : ٣٨٣/٣٠ – ٣٨٤ ، و(الشراشر) : الأثقال ، لسان العرب : ٤٠٣/٤ (شرر) .
٦٠. ينظر النسق القرآني : ٢١٨ .
٦١. ينظر دلائل الإعجاز : ٥٦ ، والنسق القرآني : ٢١٦ .
٦٢. ينظر خصائص التراكيب : ٢٥٦ ، وأثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية : ٨٩ .
٦٣. دلائل الإعجاز : ١٤١ .
٦٤. الأعلى : ٤ .
٦٥. ينظر الممتع الكبير في التصريف : ١٤١ .
٦٦. اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج) : ١٤٥ .
٦٧. ينظر البلاغة والأسلوبية : ٣٠٥ – ٣٠٦ .
٦٨. الأعلى : ١٤ .
٦٩. ينظر الممتع الكبير في التصريف : ١٢٧ .
٧٠. ينظر البحر المحيط : ٥/ ٤٥٤ .
٧١. التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٨٧ .
٧٢. ينظر البرهان في علوم القرآن :١/ ٣٦ ، و وحدة النسق في السورة القرآنية (فوائدها وطرائق دراستها) : ١٥٤ .
٧٣. ينظر المفصل : ٣٧١، وشرح المفصل : ٤/ ٤٣٧ ، وارتشاف الضرب من كلام العرب : ١٧٢ .
٧٤. التحرير والتنوير : ٣٠/ ٢٨٨.
٧٥. ينظر لسانيات النص : ١٥ – ١٦ .
٧٦. الأعلى : ١٥.
٧٧. آية (١) والآية (١٥) .
٧٨. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٦٩ ، وحدة النسق في السور القرآنية : ١٦٧.

٧٩. الأعلى : ١.
٨٠. التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .
٨١. ينظر الكشاف : ٧٣٨/٤ .
٨٢. ينظر في ظلال القرآن : ٦ / ٣٨٨٣ .
٨٣. ينظر شرح المفصل : ١٣٠ - ١٣١ .
٨٤. النحل ، من الآية : ٦٠ .
٨٥. معاني النحو : ٤ / ٣٢٠ .
٨٦. الأعلى : ٨ .
٨٧. ينظر التحرير والتنوير : ٣٠/ ٢٨٢ .
٨٨. الأعلى : ١١ .
٨٩. ينظر الكشاف : ٧٤٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٢٠ ، وتفسير النسفي : ٣/ ٦٣١ .
٩٠. ينظر في ظلال القرآن : ٦/ ٣٨٩٣ .
٩١. الأعلى : ١٢ .
٩٢. في ظلال القرآن : ٣٨٩٣/٦ .
٩٣. الأعلى :١٧ .
٩٤. المقصود من الآية السابقة :((**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا**))، الأعلى : ١٦
٩٥. ينظر التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٩٠ .
٩٦. ينظر : أسلوب التفضيل في القرآن الكريم : ٨ .
٩٧. الكتاب : ٢٠٣/١ .
٩٨. ينظر المفصل في صنعة الإعراب : ٢٩٨ .
٩٩. شرح المفصل : ١٣١/٤ .
١٠٠. الأعلى : ١٨ .
١٠١. ينظر التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٩١ - ٢٩٢ .
١٠٢. تفسير المنار : ١/ ٢٤٠ .

١٠٣. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : ١: ١٤٩ ، وينظر وحدة النسق في السور القرآنية : ١٦٤ – ١٦٥ .
١٠٤. ينظر النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن) : ١٥٥ .
١٠٥. الأعلى : ٦ .
١٠٦. شذا العرف، ١٣٥، عمدة الصرف، ٢١٣.
١٠٧. ويتم بقلب أحد هذه الحروف (الألف ، والواو ، والياء) إلى آخرٍ منها ، إذ يختفي أحدهما ليحل محلّه غيره من بينها ، ينظر النحو الوافي : ٧٧/١ .
١٠٨. ينظر المصدر نفسه : ٤/ ٧٥٧ .
١٠٩. الأعلى : ٧ .
١١٠. الأعلى : ١٠ .
١١١. الأعلى : ١١ .
١١٢. الانصاف / م٢٨ / الاحتجاج العقلي/ ١٩١ .
١١٣. ينظر دراسات في علم الصرف : ٨٧ .
١١٤. اسرار العربية لأبي البركات الانباري، محمد بهجة البيطار، مطبعة المجمع العلمي بدمشق ص٤١٨.
١١٥. العين ٥٠/١ .
١١٦. الكتاب ٤٣٧/٤ .
١١٧. الخصائص ١٣٨/٢ .
١١٨. الاصوات اللغوية / ١١٦ .
١١٩. في البحث الصوتي عند العرب/ ينظر ص ٧٧-٧٨.
١٢٠. الاصوات اللغوية ١٠٦-١١١.
١٢١. مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية/ د.محمد يحيى سالم الجبوري، دار الكتب العلمية،٢٠٠٦، ص١٢٨.
١٢٢. علم الاصوات / برنبل مالبرج/١٤٦.

١٢٣. شذا العرف / ١٥٩ .

١٢٤. ينظر أثر الجوار في المستويات اللغوية : ٩ .

١٢٥. ينظر النسق القرآني : ٢٤٢ – ٢٤٣ .

١٢٦. الأعلى : ١٨ .

١٢٧. ينظر العين : ٣/١٢٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ٢/ ١٣٢ .

١٢٨. ينظر التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٩١ .

١٢٩. ينظر جمهرة اللغة : ١/٥٤٠ .

١٣٠. الأعلى : ١٩ .

١٣١. ينظر مفاتيح الغيب : ٣١/ ١٣٧ .

١٣٢. التحرير والتنوير : ٣٠/ ٢٩١ .

١٣٣. ينظر وحدة النسق في السور القرآنية : ١٨٢ .

١٣٤. ينظر النظرية الأسلوبية (مقارنة بنائية لاكتناه التماسك النصي وفرادة التشكيل) : ٢٦٥ – ٢٦٦ .

المراجع والمصادر

١- أثر الجوار في المستويات اللغوية : الدكتور فخري محمد سليمان ، المجموعة السابعة ، العدد الثاني ، دار غريب – القاهرة ، ٢٠٠٤م .

٢- أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية : الطاهر شارف ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد خيضر – بسكرة ، (١٤٣٣هـ -١٤٣٤هـ) = (٢٠١٢م – ٢٠١٣م).

٣- ارتشاف الضرب من كلام العرب : أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، تحقيق ودراسة الدكتور رجب عثمان محمد ، مراجعة الدكتور رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٤- أسرار العربية لابي البركات الانباري ، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة المجمع العلمي بدمشق.

٥- أسلوب التفضيل في القرآن الكريم : أحمد عبد الستار الجواري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الجزء الأول ، سنة ١٩٨٧م .

٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد ابن عبد القادر الرافعي (١٣٥٦هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .

٧- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، والدكتور أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣١٣هـ – ١٩٩٣م .

٨- البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٧م .

٩- البلاغة والأسلوبية : الدكتور محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان (ناشرون) ، الشركة العالمية المصرية للنشر (لونجمان) ، دار نوبار للطباعة - القاهرة ، ١٩٩٤م.

١٠- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤م .

١١- تفسير المنار : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

١٢- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري ابن شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب - الرياض ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

١٣- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

١٤- الخصائص : ابن جني.

١٥- خصائص التركيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني): محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة السابعة ، ٢٠٠٦م .

١٦- دراسات في علم الصرف :عبد الله درويش ، مطبعة مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧م .

١٧- دلالة السياق : ردة الله بن ضيف الطلحي ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

١٨- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، تحقيق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .

١٩- شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : الحسن بن القاسم المرادي (٧٤٩هـ) ، دراسة وتحقيق ناصر حسين علي ، دار سعد الدين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

٢٠- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الأستراباذي (٦٨٦هـ) ، تحقيق محمد نور الدين ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
٢١- شرح المفصل(الزمخشري) : أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (٣٤٣هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٢٢- علم الاصوات / برنبل مالبرج .
٢٣- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور محمد المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
٢٤- في البحث الصوتي عند العرب .
٢٥- في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٨٥هـ) ، دار الشروق – بيروت ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٤١٢هـ .
٢٦- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) ، والكتاب مذيل بحاشية الإنصاف بما تضمنه الكشّاف لابن المنير الأسكندري (٦٨٣هـ) .
٢٧- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري (٧١١هـ) ، تحقيق أحمد فارس ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٢١٤هـ – ١٩٩٤م .
٢٨- اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج) : الدكتور سمير شريف استيتية ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .
٢٩- لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب) : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
٣٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بن محمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٧١٠هـ) ، تحقيق يوسف علي بدوي ، راجعه وقدم له محيي الديب مستو ، دار الكلم الطيب – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

٣١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : إبراهيم بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

٣٢- معاني النحو : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٣٣- معجم ديوان الأدب : أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن الفارابي (٣٥٠هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب – القاهرة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٣٤- مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ، تحقيق محمد عبد الرحمن محمد مصطفى ، دار إحياء التراثي العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٥- المفصل في صنعة الإعراب : جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور علي بو ملحم . مكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

٣٦- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د.محمد يحيى سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م .

٣٧- الممتع الكبير في التصريف : أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد ابن محمد الأشبيلي (٦٦٩هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

٣٨- النبأ العظيم : محمد بن عبد الله دراز (١٣٧٧هـ) ، اعتنى به أحمد مصطفى فضيلة، قدم له عبد العظيم إبراهيم المطعني ، دار القلم ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٣٩- النحو الوافي : عباس حسن (١٣٩٨هـ) ، دار المعارف – مصر ، الطبعة الخامسة عشرة .

٤٠- النسق القرآني (دراسة أسلوبية) : الدكتور محمد ديب الباجي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة ، ومؤسسة علوم القرآن – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

٤١- النظرية الأسلوبية (مقاربة بنائية لاكتناه التماسك النصي وفرادة التشكيل): الدكتور عبد الله عنبر ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

Research Summary

After the praise of God and praise him, this study has stood on the blessed Al-Ala Beach, one of the Quranic verses fence which carried increased fatty researchers at several of them and voice morphological and compositional and lexical and semantic levels

This study was aimed to find a link between linguistic levels that should stand out is a separate - and that unless to mention one of the scholars-namely that the search in the haunted leads to results complement each other, and when it was necessary for each search of Based based upon, the plan we discussed It included a multi-language formats including audio layout and structural and semantic

And that will be discussed in turn, has provided the voice pattern that has been deposited for publication in the Journal of the Dean Court today this research comes morphological pattern holds the title of the fence asymmetric spacers and we hope to publish other formats.

The study of these formats on the analysis, budgeting and comparison and weighting within the same Sura and ascension to the verses Okhrvi Sormbarkh other had a link to the subject contributes in highlighting his idea and illuminates aspects

Old and modern efforts of scientists has represented tributary Eddt doing research and dressed scientific value, were his sources are many and review, which gave impressive scientific results and sacrificed opto-side Anmazat its fence blessed to be this study, the first of similar actions that could open the way for researchers to enter this field

researcher